الفصل الثاني

البعث والجزاء
وتشكيل الضمير الديني والأخلاقي
بين
اليهودية والمسيحية والإسلام

كما سنرى من الفصول التالية لهذا الكتاب ؛ أن الفكر الغربي ، على نحو عام ، يقع منه فكر الإبادة البشرية موقع القلب [1] ، حيث يقع خلف هذا الفكر غياب المطلق الديني الذي يعتبر الرادع الأساسي للإنسان للتوقف عن فعل الشر بصفة عامة .. ومنها الإبادة البشرية على وجه التخصيص .. والتي تعتبر قمة الشر الإنساني . فعادة ما نتعامل ــ نحن العالم الإسلامي ــ مع الأديان الأخرى بسذاجة متناهية .. على أنها مناهج سماوية تدعو إلى مكارم الأخلاق على نحو عام حتى ولو اعتبرنا وجود بعض الخلاف في النص الديني في شكله المباشر أو حتى في واجهة تطبيقه . فلم يتخط منظورنا ــ نحن المسلمين ــ إلى الديانات الأخرى عن منظورنا إلى الديانة الإسلامية نفسها ، وبهذا لم يتجاوز فكرنا ــ عن الديانات الأخرى ــ عن الفكر المطلق لما ينبغي أن تكون عليه الديانة بصفة عامة من حتمية وجود المثالية الأخلاقية ، خلفيتنا في هذا فكر الدين الإسلامي نفسه والذي يجمله الرسول الكريم في وصفه لبعثته بقوله (ﷺ) ..

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

كما لم يتجاوز رؤيتنا ــ نحن العالم الإسلامي ــ للأنبياء عن رؤية المنهاج الإسلامي لهم .. فهم القدوة الأخلاقية للبشرية من جانب .. كما جاء في قوله تعالى للبشرية ..

---

[1] **أنظر كذلك : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " (بند : الإبادة البشرية كناتج حتمي للمفهوم الديني الوثني والفلسفة الحديثة) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .**

﴿ لِقَدْ كَانَ لَكُم فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّـهَ هُـوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٦)

كما هم الرحمة المهداة للبشرية ــ المختبرة ــ من جانب آخر .. على النحو الذي قال به المولى (ﷻ) عن بعثته لمحمد (ﷺ) ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

فلم يدر بخلد الفرد المسلم إطلاقا مهما بلغ حجم التحريف في الأديان ــ على الرغم من علمه بوجوده ــ أن يصل هذا الحجم إلى مثل هذا الحد من الإجرام المباشر الذي يدعو الإنسان إلى إبادة أخيه الإنسان تحت دعاوى باطلة .. أو أفكار زائفة . كما لم يدر بخلد الفرد المسلم إطلاقا أن سلوك الأنبياء من منظور الكتاب المقدس لم يتجاوز سلوك السفاحين والقتلة والزناة والخونة ..!!! **ونجح الغرب ــ فعلا ــ في إخفاء حقيقة دينه وتدينه .. وخُدِعَ** المسلم بحسن نواياه كنتاج طبيعي من أن حركته في الحياة يحكمها رادع ديني هائل .. يتلخص في قوله تعالى ..

﴿ وأَنْ لَّيْسَ لِلإِنسَانَ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَـزَاءَ الأَوْفَـى (٤١) ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٣٩ - ٤١)

فالمسلم يعي تماما بأن حركته في هذه الحياة يحكمها قانون الابتلاء أو الاختبار الشخصي .. وهو القانون القائم على اختبار قدرة الإنسان على عمل الخير .. ونهي النفس عن عمل الشر .. كما جاء في قوله " تعالى " للإنسان على نحو عام ..

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَـةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّـرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٣٥)

[**ونبلوكم** : نختبركم / **فتنة** : لننظر فيما تفعلون فى هذه الحياة الدنيا]

ولهذا يضع المسلم ــ دائما ــ نصب عينيه الحديث القدسي [٢] عن المولى (ﷻ) ..

[... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه]

ومن هذا المنظور الديني الواضح .. تصبح مكارم الأخلاق فطرة داخلية أو ضمير ديني يحكم حركة المسلم في كل خطوة يخطوها في هذه الحياة الدنيا . كما يصبح المسلم ــ من هذا المنظور أيضا ــ ضحية لحسن نواياه وإحسانه الظن بالآخرين .. نظرا لقيمه ومبادئه التى يؤكد عليها ــ دائما ــ كل سطر من سطور كتابه العظيم .. القرآن المجيد ..

ولما كانت الإبادة التي يمارسها الغرب ــ على جميع مراحله التاريخية ــ تتري من حولنا بصورة لا حدود لها .. وذلك بلا ضمير ديني أو ضمير أخلاقي رادع .. لذا كان يلزم علينا البحث في الديانتين اليهودية والمسيحية .. عن الأصول التي يمكن أن تلقي الضوء على هذه الدوافع الإبادية .. والتي تقع خلف تكوين الضمير الديني والأخلاقي ــ الفريد من نوعه ــ لهذا الفكر الغربي ..!!! ***فبديهي ؛ لا يمكن أن يوجد ما يبرر وجود مثل هذا الكم الهائل اللاأخلاقي الذي نراه ، والذي يتسم به فكر وضمير الغرب سوي غياب المطلق الديني*** . كما وأن ممارسة الغرب لهذا الكم الهائل من الإبادة البشرية ــ بتلقائية شديدة الاعتياد ــ بلا ضمير أخلاقي يذكر .. ليس له مبرر اخر .. سوى عدم وضوح رؤية الغرب لمعنى وجوده في هذه الحياة الدنيا من جانب ، وعدم وجود النص الديني الرادع له من جانب اخر .

وبديهي أهم هذه النصوص الدينية جميعا .. والتي يمكن أن تشكل هذا الضمير الأخلاقي في الإنسان هو مفهوم " ***البعث والجزاء*** " .. **وهو الفكر الذي يشكل ــ أيضا ــ محور أي عقيدة دينية مهما كانت بدائيتها** . فوضوح هذا المعني جيدا في الفكر الإسلامي جعل من الفرد المسلم يتعامل بطريقة نمطية مع كل أحداث الحياة .. واضعا نصب عينيه المطلق الديني .. والضمير الأخلاقي الذي يستدق معه حساب النفس إلى أدق الأمور .. **حتى إلى حد حساب النفس على النظرة المجردة التي لا تتسم بحسن النوايا تجاه الآخرين .. فما بال الحال مع فكر القتل .. والإبادة ..!!!** بينما غياب هذا المعنى العام أو عدم وضوح رؤيته ــ على الأقل ــ في

---

[٢] **عن أبى ذر الغفاري عن النبي (ﷺ) . رواه مسلم .** " **جامع الأحاديث القدسية** " . المجلد الأول : دار الريان للتراث . ص : ٤٦٣ .

الديانتين اليهودية والمسيحية هو الذي أدى إلى مثل هذه الكارثة اللاأخلاقية التي انتسبت إليها البشرية .. والتي نعاني منها جميعا الآن ..!!!

ويهدف هذا الفصل بشكل مباشر إلى إلقاء الضوء على وجود فكر " ***البعث والجزاء*** " في الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام .. وبيان أن هذا الفكر غير واضح المعالم في الديانتين اليهودية والمسيحية بدرجة تجعل من تشكيل أي ضمير ديني .. أو حتى أخلاقي معقول .. أمرا مستحيلا . بل سوف نرى أن الديانة اليهودية ــ على وجه الخصوص ــ تكاد تكون خالية خلوا كاملا من هذه المعاني .. وهنا يصبح الرادع الديني في تشكيل ضمير الفرد اليهودي غير موجود أصلا لردعه عن ارتكاب أبشع الموبقات .. وأشد المجازر هولا .. بدون الشعور بذنب ما .. يجعله يعيد النظر فيما يقدم عليه من أفعال . فإذا أضفنا إلى هذا المنظور ، منظور آخر ــ أشد بشاعة مما سبق ــ وهو أن الإبادة هي رغبة أو إرادة إلهية متأصلة .. أو .. هي توصية إلهية إلى شعبه المختار (الشعب اليهودي) .. فلنا أن نتخيل ماذا يمكن أن يسفر عنه هذا الفكر عند تحديد الهوية اليهودية لنفسها .. وعند تحديد علاقاتها بالبشرية على نحو عام ..!!!

فإذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية ــ والمعروف أن الجزء الأول منها هو النص الكتابي للديانة اليهودية [٣] ــ فإننا سوف نجد أن مثل هذا الفكر على الرغم من تغيره بدرجة واضحة .. إلا أنه غير كاف لتشكيل ضمير ديني معقول أيضا .. نظرا لتغير مفهوم الجزاء والعقاب من جانب .. ووجود مشاكل في مكان الأبرار في الفردوس الإلهي الأخير من جانب اخر ..!!! فسوف نجد أن مصير الأبرار في الديانة المسيحية مبهم إلى درجة عالية من الغموض على الرغم من المحاولات المبذولة والمستميتة ، من جانب رجال الدين ، ليجدوا لهم مكانا معقولا في هذا الفردوس الإلهي المتوقع ..!!! ودعنا نبدأ أحداث هذا الفصل ..

فمن الأمور المتفق عليها أن فكرة خلود الإنسان ــ أصل الشرائع ــ مرتبطة ارتباطا مباشرا ببعث الإنسان وحسابه ثم جزاءه على ما قدمت يداه .. إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ففكرة " **البعث والجزاء** " .. هي فكرة قديمة بقدم الإنسان نفسه ، فهي توجد في أفراد الأديان البدائية .. كما توجد ــ أيضا ــ في فكر الفرد اليهودي والمسيحي ، على الرغم من وجودها بشكل شاحب في نصوص الكتاب المقدس ذاته كما سنرى ، وهو ما يؤكد على فطرية هذا الفكر في النفس البشرية التي خُلِقَ عليها الإنسان . وفي الواقع ؛ أن الحضارات الأولى للإنسان قد تمحورت حول هذا الفكر ، وربما كانت الحضارة المصرية القديمة خير مثال دال على هذا ..

---

[٣] أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب .

حيث دارت هذه الحضارة كلها في فلك مفهوم البعث والجزاء . ومن أكبر الأدلـــة علـــى ذلـــك وجود هذا الكم الهائل من الوثائق والصروح المصرية القديمة (ومنها الأهرامات) التي تبيـــن مثل هذا الفكر بوضوح لا لبس فيه . وقد سبق وأن بينا في الفصل الأول من هذا الكتـــاب .. أن مثل هذا الاتفاق الإنساني على فكرة ما .. **يعتبر " ظاهرة إنسانية " لها نفس معنى " الظـــاهرة الطبيعية "** ، والتي تمتد جذورها إلى داخل النفس أو الفطرة البشرية . فخضوع الحشود البشـــرية لفكر عام واحد .. يمكن أن يدرج هذا الفكر تحت مفهوم القوانين الإحصائية على الأقل ، والتـــي تخضع للتوزيع العادي (**Normal Distribution**) المعروف عنها . ولهذا يمكن أن يُدرج هـــذا الفكر ــ البعث والجزاء ــ تحت ما يمكن أن يسمى بـــ " ***قانون البعث والجزاء الفطـــري*** " ، وهو قانون يمكن أن يضاف إلى القوانين الفطرية الأخرى التي خلق عليها الإنسان . وبديـــهي ؛ إلى جانب وجود القانون الخاص بهذا الفكر ودلالاته المستقلة عن الديانة ذاتها ، إلا أن برهانـــه يمكن أن يدرج ضمن أو يأتي تحت برهان الديانة نفسها . بمعنى أن البرهان على صحة الديانـــة ذاتها يمكن أن يصبح برهانا ضمنيا على صحة هذا القانون طالما وأن الديانة تحويه في داخـــل مضامينها الذاتية . والآن ؛ دعنا نقترب بقدر كاف لرؤية هذا الفكـــر فـــي الديانـــات اليهوديـــة والمسيحية والإسلام .. ومدى تأثير هذا الفكر على تشكيل الضمير الديني .. والأخلاقـــي لـــدى الفرد في كل ديانة على حدة .

١. البعث والجزاء في الديانة اليهودية (العهد القديم من الكتاب المقدس)

بديهي ؛ لكي ندرس أي فكر لابد لنا أولا من دراسة الكلمات الحاكمة وتعريفها فـــي هـــذا الفكر حتى يمكننا فهم وتكوين معنى معقول عنه (أي عن هذا الفكر) . ومن هذا المنظـــور ؛ فلكي ندرس فكر " ***البعث والجزاء*** " في الديانات المختلفة .. كان يلزم علينا ــ بادئ ذي بـــدء ــ أن نبحث عن معاني الكلمات والألفاظ الحاكمة التي يمكن أن يتمحور حولها هذا الفكر . وبديـــهي من هذه الألفاظ أو الكلمات لابد أن تأتي ــ في المقدمة ــ الكلمات التالية : " ***البعث*** " .. " ***يـــوم الحساب*** " .. " ***يوم الدينونة*** " .. " ***الجنة*** " .. " ***النار*** " .. ***إلى آخره من هذه الأسماء الضرورية التي لا يمكن وصف هذا الفكر بدون اللجوء إلى فهم معانيها كما جاءت بها الديانات المختلفة*** . وكما هو معروف ؛ فإن العهد القديم من الكتاب المقدس يشمل : التوراة (أسفار الشـــريعة أو أسفار موسى الخمسة الأولى) .. والأسفار التاريخية ، والأسفار الشعرية ، وأسفار الأنبيـــاء [٤] ، وهي تمثل في مجموعها النص الكتابي المعتمد لدى الديانة اليهودية . وبمحاولة تتبع أثر معـــاني

---

[٤] أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب .

هذه الكلمات السابقة في العهد القديم من الكتاب المقدس ، فسوف نجد إن هذا العهد يكاد يكـــون خاليا خلوا تاما بل وكاملا من هذه المعاني ..

فكلمة " **بعث** " لا يأتي ذكرها على الإطلاق في العهد القديم من الكتاب المقـــدس [٥] . أمـــا كلمة " **اليوم الآخر** " فيأتي ذكرها في الكتاب المقدس (العهد القديم) في موقع واحد فقـــط فـــي سياق شكوى ــ تقدمت بها إحدى النساء ــ *إلى ملك إسرائيل* ..

[(٢٨) ثم قال لها الملك مَالكِ . فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فنأكله اليوم ثـــم نأكل ابني غدا (٢٩) فسلقنا ابني وأكلناه ثم قلت لها في *اليوم الآخر* هاتي ابنك فنأكله فخبـــأت ابنها]

(الكتاب المقدس : الملوك الثاني {٦} : ٢٨ - ٢٩)

وبديهي هـــذا السياق **المقدس اللامعقول** .. هو أبعد ما يمكن عن معنى ومفهوم اليـــوم الآخـــر والبعث والجزاء .. الذي يمكن أن يأتي به الدين ..!!!

فإذا جئنا إلى عبارة " **يوم الدينونة** " أو " **يوم الحساب** " .. فنجد أنه لم يرد ذكرهما علـــى الإطلاق في العهد القديم من الكتاب المقدس ..!!! أمـــا كلمة " **الجنة** " فقد ورد ذكرها " تسع " مرات فقط ، وارتبطت فقط بمعنى الجنة الأرضية التي وضع فيها الله " آدم " بعد أن خلقـــــه .. ولم ترتبط بجنة البعث والجزاء . ومن هذا السياق السابق ، جاءت " الجنة " في ثلاثة مواقـــع ، منها .. عندما سمع ادم وحواء الإله وهو يتمشى في الجنة فاختبأ منه لعريهما [٦] ..

[(٨) وسمعا (آدم وحواء) *الرب الإله ماشيا في الجنة* عند هبوب ريح النهار . فاختبـــأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط *شجر الجنة* (٩) فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت (١٠) فقال سمعت صوتك *في الجنة* فخشيت لأني عريان فاختبأت (١١) من أعلمك أنك عريان

---

[٥] تم استخدام النسخة الإلكترونية للكتاب المقدس (Arabic Holy Bible with KJV, 1998 Edition, Multimedia CD-ROM) للدكتور ماجد نبيه كامل .. وكذا " فهرس الكتاب المقـــدس " للدكتـــور جـــورج بوست .. في هذا البحث الإحصائي .

[٦] بديهي استعراض مثل هذه النصوص يخدم الغرض الأساسي الذي نناقشه هنا .. ألا وهو غياب فكـــر البعـــث والجزاء في الفكر اليهودي والمسيحي ، إلا أن هذا العرض يعطي ــ أيضا ــ للقارئ المدقق فكرة لا بأس بـــها عن الوثنيات الفكرية والنصوص الخرافية الواردة في الكتاب المقدس نفسه ، حيث أترك هذه المعاني بلا تعليـــق .. نظرا لوضوحها بدرجة كافية .

. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها (١٢) فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت]

(الكتاب المقدس : تكوين {٣} : ٨ - ١٢)

وهكذا لم ترد " الجنة " بمعنى جنة البعث والجزاء .. إنما وردت بمعني الجنة التي وضع فيها الخالق ادم بعد خلقه . وفي نصوص أخرى لم يتجاوز معنى " **الجنة** " عما تنبته الأرض من فواكه ومحاصيل .. أي الجنة الأرضية .. كما جاءت في آخر نص لها في العهد القديم من الكتاب المقدس ..

[(١١) لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن *الجنة تنبت مزروعاتها* هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٦١} : ١١)

وقد كان لخلو التوراة [٧] ــ على وجه الخصوص ــ من الحديث عن البعث والجزاء أمرا مستغربا ، وجعلها مثارا للطعن فيها والجدل حولها . ومن أمثلة الاعتراضات التي أثيرت حول خلو التوراة من البعث والجزاء ، ما ورد في كتاب " **تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث " لابن كمونة** (سعيد ابن منصور) اليهودي ، ونذكر منها الاعتراض التالي .. والرد عليه [٨] :

" إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحا بالثواب والعقاب الأخرويين ، وذلك من أهم ما ينبغي ذكره ، وهو الأصل الأعظم في التشريع . فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من عند الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك .. "

ويبرر " **ابن كمونه اليهودي** " سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة بني إسرائيل بهذه العقيدة ، ولذلك فهو أمر لا يحتاج إلى تكرار . ويضيف **ابن كمونه** : " إن خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرا من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والثواب والعقاب في الآخرة ، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود .

---

[٧] **التوراة : هي الخمسة أسفار الأولى من الكتاب المقدس (أنظر الملحق الثاني من هذا الكتاب) .**

[٨] **" اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " ، د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . ص : ١٤٠ .**

ثم يحاول (بعض) أئمة المسيحية البحث عن فكرة البعث والجزاء في العهد القديم من الكتاب المقدس ــ بديهي ــ لأنه جزئية أساسية ومتممة لعقيدتهم .. فلا يجدوا سوى نصوص باهتة .. وتكاد تكون معدومة المعنى . ويذكر لنا منها الأنبا يوأنس [٩] " النص المقدس التالي ..

[(١٩) تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا يا سكان التراب . لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة]

(الكتاب المقدس : إشعياء {٢٦} : ١٩)

وهو نص مختلف على تفسيره ، فبالرجوع إلى السنن القويمة في تفسير العهد القديم نجد أن هذا النص لا يشير إلى القيامة في الآخرة ، ولكنه يشير إلى بعث اليهود بعد السبي ، أي عودتهم إلى أرض فلسطين المغتصبة مرة أخرى . فبديهي ؛ تخصيص قيامة الأموات إلى شعب بعينة **[تحيا أمواتك ..]** .. لا يعني يوم القيامة .. لأن يوم القيامة يشمل قيامة كل البشر .. حيث لا تخصيصية فيه لشعب بعينه [١٠] . ويعترف أئمة الديانة ــ صراحة ــ بأن النصوص عن قيامة الأموات في العهد القديم هي نصوص غير مباشرة . ولهذا يقول " **قاموس الكتاب المقدس** " تحت عنوان " القيامة في العهد القديم " [١١] ..

" يظهر من الإيمان والإثابة والجزاء الوارد في أيوب (١٩ : ٢٥ - ٢٧) بأن القيامة مفهومة ضمنا ، **وكذلك تذكر القيامة ضمنا** في المواضع التي يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفي حضرته في المزامير (مثلا : ١٦ : ٩ - ١١ ..) . ويحدثنا إشعياء (٢٦ : ١٩ ..) عن قيامة المؤمنين ، **وكذلك يعلم دانيال (١٢ : ٢) عن قيامة البعض للحياة الأبدية ، وقيامة آخرين للعار والازدراء الأبدي** ، ويصف حزقيال (في إصحاح ٣٧) نوعا من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله " .

---

[٩] " السماء " / ص : ١٣٣ . لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس . الطبعة الخامسة . مطبعة الأنبا رويس .

[١٠] يؤكد على هذا المعنى أيضا الترجمة الحديثة للكتاب المقدس .. حيث يأتي هذا النص على النحو التالي : [(١٨) .. لم نُخَلِّص الأرض ولم يولد من يقيم فيها فتصير آهلة عامرة (١٩) ولكن أمواتك يحيون ، وتقوم أجسادهم . فيا سكان التراب استيقظوا واشدوا بفرح لأن طلك هو ندى متلألئ ، جعلته يهطل على أرض الأشباح] (إشعياء ٢٦ : ١٨ - ١٩) . (أنظر كذلك الفصل السابع من هذا الكتاب لرؤية المزيد من هذه المعاني) .

[١١] " قاموس الكتاب المقدس " . ص : ٧٤٨ - ٧٤٩ . دار الثقافة . الطبعة الثانية عشرة . أنظر أيضا : " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " . د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله . دار الوفاء . ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

وهكذا نجد جميع ما ورد ذكره عن قيامة الأموات يأتي ضمنيا وليس بنصوص مباشرة ، كما يعترف بهذا قاموس الكتاب المقدس . وحتى فكرة البعث والجزاء التي وردت في سفر دانيال .. التي يشير إليها " **قاموس الكتاب المقدس** " نجدها تقول :

[(٢) وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي] [١٢]

(الكتاب المقدس : دانيال {١٢} : ٢)

وحتى عند إحسان الظن بهذا النص ، فهو لا يقول ببعث كل الناس .. لقوله **[وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ..]** .. أي أن كثيرين فقط هم الذين سيبعثون ..!!! كما لا يشير النص إلى أي أسس ــ أخلاقية مثلا ــ يمكن أن تحدد من هم الذين سيبعثون .. إلى الحياة الأبدية .. ومن هم إلى الازدراء الأبدي ..؟!! كما لا يبين هذا النص وجود أي ارتباط بين الحياة الأبدية وبين الخلاص الإنساني بمعنى السعادة الأبدية ..!!!

وعموما فهذا كل ما ورد ذكره عن " ***البعث والجزاء*** " [١٣] في العهد القديم (الديانة اليهودية) ..!!! وهي ، كما نرى ، نصوص غير كافية تماما لشرح هذه المعاني . وفي أحسن أحوالها ؛ حتى إذا مثلت الاعتراف الضمني بقيامة الإنسان من بعد موته فلا يوجد في هذه المعاني ما يشير من قريب أو بعيد لأسس الحساب أو الجزاء التي تصاحب هذه القيامة ..!!! **وهنا يمكن أن نصل إلى أن تشكيل الضمير الأخلاقي لدى الفرد اليهودي يمكن أن يتشكل بعيدا عن معنى البعث والجزاء تماما .**

---

[١٢] هذا النص موجه أساسا إلى الشعب اليهودي .. وليس إلى كل شعوب الأرض أو إلى الشعب المسيحي ، فلم يظهر السيد المسيح برسالته إلا بعد ظهور النبي دانيال ــ صاحب هذا السفر ــ إلا بحوالي ستة قرون . ويظهر هذا التوجه جليا في سياق استكمال هذا النص : [(٣) ويضيء الحكماء (أي شعب الله) كضياء الجلد ، وكذلك الذين ردوا كثيرين إلى البر يشعون كالكواكب إلى مدى الدهر (٤) أما أنت يا دانيال فاكتم الكلام ، واختم على الكتاب إلى ميعاد النهاية . وكثيرون يطوفون في الأرض وتزداد المعرفة] (الكتاب المقدس ــ كتاب الحياة : دانيال : {١٢} : ٣ ــ ٤) .

[١٣] يذكر نيافة الأنبا يوانس ــ في كتابه " السماء " ص : ١٣٣ ــ نص ثالث فقط (غير النصين السابق ذكرهما عاليه) مأخوذ من " سفر المكابيين الثاني " وهو ليس من اسفار الكتاب المقدس ، بل هو من " الأسفار القانونية الثانية " التي تعرف باسم " الأبوكريفا " (أو الأسفار المكذوبة) والتي لا تعترف بها باقي الكنائس الأخرى سوى الكنيسة الأرثوذكسية ..!!!

والآن إذا كان العهد القديم يمثل أساس العقيدة اليهودية .. وهو لا يحوي أي معنى يعول عليه لشرح فكرة " ***البعث والجزاء*** " .. فلا يبقى لديهم سوى بعض الأفكار المضطربة المستخرجة من التلمود (الشريعة الشفهية) .. ليس لها ما يساندها من نصوص مكتوبة في التوراة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت .. ولهذا يقول : **"ول ديورانت"** في قصة الحضارة عن غياب هذا الفكر في العقيدة اليهودية :

" ولم تبن فكرة البعث في خلود اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس ، أو لعلهم أخذوا شيئا منها عن المصريين القدماء ، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية " [١٤]

وبهذه المعاني يصبح اليهود .. أقرب ما يكونوا .. إلى أقوام .. لا بعث لهم .. ولا حساب لهم .. ولا دينونة لهم .. ولا جزاء .. ولا ثواب .. ولا جنة .. ولا نار . فالقضية ــ إذن ــ ديانة فحسب .. لم ترق حتى إلى مستوى الديانات المصرية القديمة أو حتى إلى مستوى الديانات البدائية التي تؤمن بالبعث والحساب والجزاء . فالبعث والحساب والجزاء هو الأمر الذي يفرض نفسه بشكل جبري ــ فيما بعد ــ على تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الإنسان .. وضرورة التمسك بصور مكارم الأخلاق .. كضرورة تحتمها فكرة نيل **الخلاص** [١٥] المأمول والسعادة الأبدية المرجوة .

ومن هذا البعد الديني الهام ــ أي عدم وضوح رؤية البعث والجزاء ــ يمكننا أن نفهم معنى تشكيل الضمير الديني .. والضمير الأخلاقي .. في الفكر الغربي (لأن الديانة اليهودية جزئية من الديانة المسيحية) . فإذا أضفنا إلى ما سبق .. الأمر الإلهي المباشر ــ لكل من يؤمن بالكتاب المقدس (أي الأمر الإلهي لكل من : اليهود والمسيحيين على حد سواء) بإبادة البشر .. كما جاء في النص المقدس التالي ..

---

١٤ " قصة الحضارة " ، جـ ٢ ، ص : ٣٤٥ ، وانظر كذلك : " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام" د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله . دار الوفاء . ص : ١٥٣ .

١٥ كلمة " خلاص " مستخدمة هنا بمعنى النعيم الأزلي الذي يمكن أن يناله الإنسان ــ البار ــ في الآخرة .. كناتج طبيعي من عمله الصالح في هذه الحياة الدنيا .. وتحقيقه الغايات من خلقه . كما يمكن أن تشير هذه الكلمة أيضا إلى " خلاص " الإنسان من متاعب هذه الحياة (أو التحرر من عبودية هذه الحياة) .. وحصول الإنسان على السعادة الأبدية المنشودة .

[(١٠) حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح (١١) فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك (١٢) وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها (١٣) وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (١٦) *وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما*] [١٦]

(الكتاب المقدس : تثنية (٢٠) : ١٠ - ١٦)

فإننا يمكن أن نرى أن : الإبادة .. والنهب .. والسبي .. هي جزئية أساسية من تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الفكر الغربي بصفة عامة ، والفكر اليهودي بصفة خاصة [١٧] ..!!! وكما نرى ــ من هذا النص المقدس السابق ــ أن فكرة القتال والبدء به هي حرية مشروعة يمكن أن يبدأ بها الغرب متى شاء ..وكيف شاء ..!!! لا مرجعية فيها لمطلق ديني أو أخلاقي .. ولا

---

[١٦] راجع الملحق الرابع من هذا الكتاب لرؤية القتال وأحكامه في الإسلام . وبديهي لا يمكننا إغفال بعض صور مكارم الأخلاق التي تأتي متناثرة في الكتاب المقدس .. مثل النص المقدس التالي :

[(٤٤) أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم]
(الكتاب المقدس : متى (٥) : ٤٤)

ولكن كيف يمكن الجمع بين هذا النص .. والنص المذكور أعلاه .. ونصوص أخرى في الغدر والقتل والنهب والسرقة (سوف نرى المزيد منها في باقي فصول هذا الكتاب) ..!!! كيف يمكن الجمع بين كل هذه المتناقضات ..؟!!! في الواقع ؛ أن حجم المتناقضات الهائلة الموجودة في الكتاب المقدس والخرافات الواردة فيه تفقده مصداقيته تماما .. ولا تجعله مقدسا بأي حال من الأحوال (أنظر كذلك : الملحق الخامس من هذا الكتاب) . وما زلت أؤكد أنه لولا وجود بقايا الدين الإسلامي في الديانتين اليهودية والمسيحية ما قدر لهاتين الديانتين البقاء . فتوراة موسى .. وإنجيل عيسى (قبل تحريفهما الحالي) لم يتجاوز معناهما عن نسخ أولى من الدين الإسلامي نفسه ، وذلك من المنظور التالي : (١) أن الدين مصدره الإله .. وليس الدين مصدر الإله . (٢) وطالما أن الإله واحد ولا متغير .. فلابد وأن يكون الدين هو الآخر واحدا ولا متغيرا . (٣) أن الله لم ينزل غير الإسلام دينا في كل الأزمنة . للتفاصيل أنظر : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " للنفس المؤلف . يطلب من مكتبة وهبة .

[١٧] في تقرير لوزارة الخارجية المصرية يقول بأن عدد القتلى من الأسرى المصريين في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فقط ، وصل إلى (٦٥) ألف أسير ..!!! وأن هذا الرقم قد تم الوصول إليه من خلال (١٠٠٠) وثيقة و (٤٠٠) شهادة حية لقادة إسرائيليين وأمريكيين وأوروبيين . وإن من أبرز الجنرالات الإسرائيليين الذين شاركوا في ذبح هذا العدد من الأسرى المصريين : الرئيس الإسرائيلي عزرا وايزمان الذي قتل عمدا قرابة العشرين ألف أسير ، وموشيه ديان الذي مثل القاسم المشترك في كل عمليات القتل ، وديفيد ليفي ، وروفائيل إيتان ، وإسحاق رابين ، وإيهود باراك (رئيس وزراء إسرائيل الحالي) الذي قتل ألفي أسير مصري في عشرة دقائق .. وغيرهم من القتلة المجرمين بنص القانون والمواثيق الدولية التي تعتبر جريمة قتل الأسرى من الجرائم التي لا تسقط بالتقادم ..!!!

تخضع لقيود ما .. بل هي منظور نسبي فحسب . فكما نرى ؛ أن الإبادة الكاملة ــ والتي تجرى بلا رحمة وبلا إنسانية ــ هي من نصيب شعوب المناطق المجاورة لهم [١٨] ..!!! أما الإبادة الجزئية والنهب والسبي ــ كما يقول بهذا الإله ــ فهي من نصيب الشعوب الأكثر بعدا عنهم ..!!!

ومن هذه المفاهيم أيضا يمكننا أن نفسر معنى " **العلمانية الشاملة** " التي ينادي بها الغرب الآن .. والتي تتعامل مع الإنسان على أنه " **مادة بشرية : Human Material** " ليس إلا . فإن أمكن توظيفه أصبح بهذا المعنى " **مادة مفيدة : Useful matter** " ، وإذا لم يمكن توظيفه فيشار إليه بأنه " **فائض بشرى : Human Surplus** " ، أو أنه " **مادة غير نافعة : Un-useful matter** " . وهذه المادة الفائضة لابد وأن تخضع إلى شكل من أشكال المعالجة لتصحيح وضعها ، فإما أن تصدر (**Transferred**) إلى أماكن أخرى .. أو أن يعاد صياغتها (أي تسخيرها بالعمل في أماكن بعينها) .. ***أو أن تباد إذا فشلت معها الحلول السابقة ..!!!***

٢. البعث والجزاء في الديانة المسيحية (العهدين القديم والجديد)

والآن ؛ إذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية ، أي إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس (لاحظ أن العهدين يشكلان معا النص الكتابي للديانة المسيحية ، أي الكتاب المقدس) فربما نجد أن هذه الأمور قد تحسنت قليلا .. بمعنى أننا سوف نجد بعض النصوص تشير إلى قيامة الإنسان من بين الأموات .. نظرا لقيامة المسيح نفسه من بين الأموات .. كما نجد الربط اللازم بين معاني الخلاص (أي الحساب والجزاء) وبين مكارم الأخلاق (إلى حد ما) . ولكن سرعان ما يتبدد هذا الوضع .. وأن تنقلب الأمور رأسا على عقب .. فيصبح نيل الخلاص لا علاقة له بمكارم الأخلاق .. كما تبقى مشكلة مكان الأبرار في السماء معلقة وبلا حل ..!!!

وقبل البدء في شرح وتحليل هذا الفكر السابق .. دعنا ــ أولا ــ نؤكد على أن كل ما ورد ذكره في العهد القديم ــ من الكتاب المقدس ــ ويؤمن به الشعب اليهودي ، هو نص إيماني ملزم للشعب المسيحي .. لقول المسيح ..

---

[١٨] **انظر كذلك : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " (بند : الإبادة البشرية كناتج حتمي للمفهوم الديني الوثني والفلسفة الحديثة) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .**

[(١٧) لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل]

(الكتاب المقدس : متى (٥) : ١٧)

ومن هذا المنظور ــ وباتفاق جميع الكنائس ــ تصبح جميع النصوص الإبادية السابق ذكرها في الديانة اليهودية .. هي نصوص إيمانية سارية المفعول (أو سائدة) في الفكر المسيحي أيضا .. كما هي نصوص إيمانية سائدة في الفكر اليهودي ..!!! والآن إلى المناقشة والتحليل ..

يقول نيافة الأنبا يوأنس [١٩] : " لعل من أروع ما كتب عن حقيقة قيامة الأجساد في العهد الجديد ، ما دونه معلمنا بولس الرسول في إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر من رسالته الأولي إلى كنيسة كورنثوس .. " حيث يذكر لنا بولس الرسول .. في سفره هذا ..

[(١٣) فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام (١٤) وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم (١٥) ونوجد نحن أيضا شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون (١٦) لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥) : ١٣ - ١٦)

وهكذا ؛ يدل هذا النص على ضرورة الإيمان بقيامة الموتى طالما وأن المسيح ذاته (أي الإله بعد تجسده) قد قام من بين الأموات وانتصاره على الموت . وقصة انتصار الإله على الموت وانتزاع سلطة الموت من الشيطان هي قصة شائقة ، ويمكن الرجوع إلى " **تفاصيلها** " في مرجع الكاتب السابق [٢٠] ، ولكن ما يعنينا هنا هو البحث وراء فكر " **البعث والجزاء** " . وهكذا نجد أن المسيحية تؤمن بالبعث .. بما لا يدع مجالا لأي شك .. وحسنا ما فعلوا ..

ثم نأتي إلى الربط بين مكارم الأخلاق .. وبين نيل الخلاص .. حيث يقول نيافة الأنبا يوأنس :

---

[١٩] " السماء " / ص : ١٣٩ . لمثلث الرحمات نيافة الأنبا يوأنس . الطبعة الخامسة . مطبعة الأنبا رويس .

[٢٠] " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " لنفس مؤلف هذا الكتاب . يطلب من مكتبة وهبة . كما سنرى ملخصا لهذه القصة في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

" لا نستطيع أن نتعرض بالشرح لكل فئة من الممنوعين من السماء على حدة ، ولكننا نتـــأمل بعض الايات التي جاءت بالكتاب المقدس وفيه إشارة إلى بعض عينات من الممنوعين :

[(٩) أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا . لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون (*متخنثون*) ولا مضاجعون ذكور (١٠) ولا سارقون ولا طمـــاعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس { ٦ } : ٩ - ١٠)

ومن هذا النص المقدس نجد طائفة كبيرة من الممنوعين من ميراث ملكوت الله .. منهم الزناة .. وعبدة الأوثان .. والمتخنثون .. ومضاجعو الذكور .. إلى آخره ..!!! وعلى الرغم من وجـــود النص المباشر بأن المتخنثين ومضاجعي الذكور لا يرثون ملكوت الله .. إلا أننا نجـــد بعـــض الكنائس تقوم بعقد قران رجل على رجل آخر [٢١] ، وليس هذا فحسب بل نجد أن الشذوذ الجنسي متفشي بنسبة كبيرة بين رجال الدين المسيحي .. حيث يرى بعض علماء الاجتماع الأمريكيين أن ***القس المسيحي*** الشاذ يكون قد اعتدي ــ في المتوسط ــ على حوالي ٥٠ طفلا على مـــدى ٢٥ سنة من خدمته في سلك الكهنوت ..!!! وقد أكد أخيرا تقريـــر عـــن **الكنيســـة الأســـقفية الأمريكيـــة** ــ أكـــبر طـــوائف الكنيسة البروتستانتينية ــ عن وجـــود الـــشواذ والشـــاذات جنسيا [٢٢] في سلك الكهنوت ، وإن هذا الأمر لم يعد سرا . ويقول التقرير .. إن الكنيســـة لا ..

---

[٢١] شاهدت ذلك بنفسي في أثناء تواجدي بهولندا ، وكان أحد الرجلين يترك شعره الطويل مرسلا ، كما لو كان امرأة . بينما الرجل الآخر قد حلق رأسه بالموسى تماما ، وبشكل مقزز ليدل على إنه الرجل . وقد أجرى القـــس جميع مراسم الزواج داخل الكنيسة . كما هو الحال عند زواج الرجل بالمرأة . وعقب إتمام الزواج تبادل الرجلان القبلات من الفم بشكل كريه ومقزز للغاية ، كما لو أنهما رجلا وامرأة حقيقية . وفي زواج حديث من هذا النـــوع تم في سويسرا ــ حيث كان محرما فيها من قبل ــ قال القس " كلاوس بوملين " يصف حفـــل الـــزواج : " إنـــه بادرة تعويض بسيطة حيال مثيلي الجنس الذين رفضتهم الكنيسة ولاحقتهم طوال قرون " .

[٢٢] يقدر القس الأمريكي (سابقا) والكاتب حاليا (ريتشارد سيبيه) بأنه يوجد ١٠ آلاف من ٥٣ ألف رجل دين أمريكي ... شاذين جنسيا . أي أن نسبة الشواذ بين رجال الدين في الولايات المتحدة تبلغ حوالـــي ٢٠% مـــن التعداد الكلي لهم . وكذلك يقدر عالم الاجتماع الكنسي (آندرو جريلين) أن القس الشاذ ، على مدى ٢٥ ســـنة من وظيفته ، يكون قد اعتدى تقريبا على ٥٠ طفلا ، أي بمعدل طفلين في السنة ، ولا يستبعد (جريلين) بـــأن يكون الرقم الحقيقي هو ستة أضعاف هذا العدد . ويشارك القساوسة في الولايات المتحدة بحوالي من ٢% إلـــى ٣% من نسبة جرائم الاغتصاب السنوية في الولايات المتحدة . فإذا ما أخذ نسبة عدد الرهبان إلى العدد الكلـــي للسكان بالولايات المتحدة ، فيكون حجم ما يسببه القس الأمريكي هو حوالي ٥٠ ضعفا من حـــالات الاغتصـــاب أكثر من الفرد الأمريكي العادي . ولا ننسى في هذا الصدد ، اتهام رئيس أســـاقفة فيينـــا (الكردينـــال جـــرور : Groer) بالشذوذ الجنسي ، بعد أن قام ضحاياه بالاعتراف عليه الآن ، مما دفع هذا ببابـــا الفاتيكـــان يوحنـــا بولس الثاني بتعيين آخر إلى جانبه ، ولكن لم يقيله .

يمكن أن تدافع عن حقوق الشواذ والشاذات فى المجتمع عمومـــا ..!!! إذا كـــانت ــ هـــى ــ تحرم العاملين فى سلك الكهنوت من هذه الحقوق نفسها ..!!!

فكيف يكون هذا ..؟!!! كيف يمكن أن يقول الكتاب المقدس بحرمان مضاجعي الذكـــور من ملكوت الله وتقوم الكنائس الغربية بإسباغ الشرعية على هذه المضاجعة ..؟!!! فهل هنـــاك شك في فهم معنى ملكوت الله أم أنه يمكن التغاضي عن مثل هذه الذنوب كما يمكن التكفير عنها ببساطة شديدة ..؟!!! في الواقع ؛ يمكن تفسير هـــذا الوضع المتناقض للكنيســـة ، إذا علمنـــا بالآتي :

أولا : أن بعض نصوص الكتاب المقدس تسرد لنا أسوأ أنواع الفواحش (ومنها زنا المحـــارم) على أنها أفعال تكاد تكون طبيعية وعادية لا غرابة فيها .. منها على ســـبيل المثـــال .. زنـــى ابنتي لوط بأبيهما لوط ..

[(٣٠) وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه .. (٣١) وقالت البكر للصغـــيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض (٣٢) هلم نســـقي أبانـــا خمرا ونضطجع معه .. (٣٣) فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مـــع أبيها .. (٣٤) وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه . فنحي من أبينا نسلا (٣٥) فسقتا أباهما خمرا فـــي تلك الليلة أيضا . وقامت الصغيرة واضطجعت معه .. (٣٦) فحبلت ابنتا لوط مـــن أبيـــهما (٣٧) فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم (٣٨) والصغـــيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي . وهو أبو بني عمون إلى اليوم]

(الكتاب المقدس : التكوين {١٩} : ٣٠ - ٣٧)

ثانيا : تلغى بعض النصوص المقدسة " **المسئولية الإنسانية** " فى فكر الخلاص على نحو عام . حيث يبين لنا الكتاب المقدس أن " **الخلاص** " فى الفكر المسيحي هو ناتج طبيعي أو ناتج تلقـــائي من الإيمان بالمسيح **وليس له علاقة بصالح أو بطالح الأعمال** ، بل هو هبة من الله .. حتـــى لا يفتخر بها أحد .. كما قال بهذا بولس الرسول .. في النص المقدس التالي ..

[(٨) لأنكم بالنعمة مُخلَصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله (٩) ليس من أعمـــال كيلا يفتخر أحد]

(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل أفسس {٢} : ٨ - ٩)

ثالثا : الاعتراف بالخطيئة يمكن أن يسقط القصاص ..!!! فمن المعروف ــ من منظور الكتاب المقدس ــ أن المسيح قد صلب ومعه لصان أخران .. وكانت الجموع المحتشدة لرؤية حادثة الصلب هذه .. تستهزئ بالمسيح .. كما كان اللصان المصلوبان معه يستهزئان به أيضا .. بل ويسخران منه كذلك ..

[(٣٩) وكان المجتازون *(المارة)* **يجدفون عليه** *(يشتمونه)* **وهم يهزون رؤوسهم (٤٠) قائلين يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك . إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب (٤١) وكذلك رؤساء الكهنة أيضا يستهزئون مع الكتبة والشيوخ .. .. (٤٣) قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده . لأنه قال أنا ابن الله (٤٤) وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه** *(أي يسخران منه بمثل هذا الكلام)* **]**

(الكتاب المقدس : إنجيل متى { ٢٧ } : ٣٩ – ٤٤)

ولكن يعترف أحد اللصين بذنبه .. فيكون في الفردوس مع الرب ..

[(٣٩) وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا (٤٠) فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه (٤١) أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله (٤٢) ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك (٤٣) فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس]

(الكتاب المقدس : لوقا { ٢٣ } : ٤٢ – ٤٣)

ومن هذا المنظور ، نرى أن مجرد الاعتراف بالذنب يكفي لتبرئة المذنب من القصاص .. ووضع اللص في الفردوس الإلهي . وهو ما يعني أن الإيمان والاعتراف بالذنب يكفي وحده لكي يكون الإنسان مبشرا بالجنة في الفكر المسيحي[٢٣] ..!!!

---

[٢٣] بديهي سوف يذهب فكر المسلم مباشرة إلى مقارنة شخصية هذا اللص المبشر بالفردوس السماني (أي بالجنة) وشخصية العشرة المبشرون بالجنة في الإسلام .. مثل : أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان .. وعلى ابن أبي طالب .. إلى أخره .. وما كانوا عليه من قمة قمم العلم .. وقمة القمم في مكارم الأخلاق ..!!!

وبأخذ ما سبق في الاعتبار ؛ يمكننا فهم ــ الآن ــ سلوك بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية بروما .. ومنهم من كان يعاشر بناته جنسيا (البابا ألكسندر السادس) ، ومنهم من كان يعاشر أمه معاشرة الأزواج (البابا يوحنا الثاني عشر) ..!!!

ثم ننتقل إلى النقطة الثانية من هذا التحليل .. ***وهي مشكلة مكان الأبرار من المسيحيين في الفردوس السمائي ..!!!*** والإجابة على هذا السؤال يستلزم شرحه بعض الإفاضة خصوصا عندما نعلم أن الفرد المسيحي لا مكان له في هذا الفردوس .. لاعتبارات كثيرة منها : أن الفرد المسيحي ليس من ضمن " **شعب الله المختار** " من جانب .. ومنها ضيق المكان ذاته .. أي ضيق مساحة الفردوس السمائي من جانب آخر ..!!! وسوف يتم مناقشة هذا السؤال بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

وننتهي من هذا ؛ بأنه من الأمور البديهية .. طالما وأن الجزاء ــ في المسيحية ــ يمكن أن يمحى ببساطة شديدة بمجرد الاعتراف بالذنب من جانب .. كما لا يوجد مكان للفرد المسيحي في الفردوس السمائي من جانب اخر ..!!! إذن فحدث بلا حرج حول تشكيل الضمير الديني والأخلاقي لدى الفرد المسيحي ..!!! ولا بأس ــ إذن ــ من أن تحتوي " **مسيحية المحبة** " ــ إلى جانب احتوائها على العهد القديم والإيمان بنصوصه الإبادية ــ على نصوصها الإبادية الخاصة بها .. والتي تسمح هي الأخرى بالذبح والإبادة ، ويأتي هذا المعنى في النص المقدس التالي الذي ينسب إلى السيد المسيح (عليه السلام) :

[(٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي]

(الكتاب المقدس : لوقا { ١٩ } : ٢٧)

وهو نص يمثل التعصب الدموي في أشقى معانيه .. فـ " **أملك عليهم** .. " يعني أن يكون *المسيح ملكا عليهم* . أما الأعداء فهم أى شعب لا يقبل بأن يكون المسيح ملكا عليه ، أو بمعنى أكثر تخصيصا هم أى شعب لا يرتضى فكرهم بأن يكون عيسى إلها ..!!! . فيقول السيد المسيح لأتباعه .. " **فأتوا بهم** .. " ، أى بهؤلاء ، أو بهذا الشعب الذي لا يرتضى بهذا التتويج أو هذا المنهاج " .. **واذبحوهم قدامي** .. " **أى تحت قدمي** . وبديهى إن لم يكن السيد المسيح موجودا بالكيان الفيزيائي له وقت ذبح الأعداء ، فلا بأس من أن يتم الذبح أمام أى رمز أو وثن يشير إليه بشكل أو باخر . ***والآن ؛ أين فكر " قبول الآخر " في هذا النص المقدس ..؟!!!***

٣. من ذاكرة التاريخ .. والضمير الديني والأخلاقي في الفكر المسيحي الغربي

كما رأينا ؛ فإن التعصب الديني الدموي في أبشع معانيه (راجع مقدمة هذا الكتاب لرؤية النصوص القرآنية حول حرية العبادة) هي نصوص كتابية مقدسة .. لهذا يأتي بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية المسيحية (ومنهم من كان يعبد الشيطان) لا ليمارسوا القتل الجماعي بالجملة فحسب بل يرسوا كذلك قاعدة القتل محلل بالنسبة للكنيسة المسيحية ومن شروط خلاص النفس [٢٤] ***. ونوجز ــ هنا ــ بعض الأمثلة التاريخية لفكر " قبول الآخر " كما تأتي به " مسيحية المحبة " ..!!!***

ونبدأ هذه الأمثلة .. ببابا أوربان الثاني [٢٥] *، بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما ، الذي أعلن في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥ ، بأن* المسلمين كفرة يستباح دماؤهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ..!!! وقام بدعوة العالم المسيحي إلى الحرب المقدسة (أى إلى الحروب الصليبية) لاستعادة الأراضي المقدسة من بين أيدي المسلمين . وقد أعلن أوربان الثاني إنه سوف يغفر الذنوب جميعا لمن يساهم فى هذه الحروب الصليبية من منطلق التفويض الإلهي الممنوح له من السماء ..!!! ودخلت قوات الحملة الصليبية الأولى [٢٦] الأراضي المقدسة

---

[٢٤] " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ، لرؤية بعض الأمثلة التاريخية الدالة على ذلك .

[٢٥] اسمه الأصلي أودو دى لاجرى (١٠٤٢ - ١٠٩٩) . ولد بالقرب من مدينة شاتيون على نهر المادن فى فرنسا . وقد جاء من أسرة نبيلة ، وتلقى تعليما جيدا . وابتدأ سلك الرهبنة والكهنوت من مراحله الأولى حتى أصبح بابا الكاثوليك فى سنة ١٠٨٨ . ومات البابا أوربان الثاني سنة ١٠٩٩ ، بعد أسبوعين من استيلاء الصليبيين على مدينة القدس ، دون أن تبلغه أنباء هذا النصر الكبير .

[٢٦] فى الحقيقة كانت هذه الحملة هى الحملة الصليبية الثانية ، فعقب دعوة البابا أوربان الثاني لإنقاذ الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، تم تأليف جيش قوامه مائتا ألف مقاتل . يقول عنهم المؤرخون : إنهم من المرتزقة وقطاع الطرق والأفاقين تحت قيادة " جوتيه المعدم " ، واتخذ هذا الجيش " عنزة وإوزة " شعار له ، كانتا على حد قول المؤرخين مهبط الوحي الإلهي لهم . وكانت الطقوس الدينية التى تباشرها هذه القوات ، خليطا من العبادة والعربدة .. من الصلاة والسكر والانحلال الخلقي .. وكانت الحملة فى زحفها لا تعدو عن أن تكون عصابة كبيرة دأبت طول الطريق على السطو والقتل . فثارت حفائظ أهل البلاد التى مروا بها . وتجمعوا للدفاع عن أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ... وتقضوا على هذا الجيش وشتتوا شمله . ففر رجاله ، وكان بطرس الناسك فى طليعة الفارين . ثم عادت فلول الجيش فتجمعت من جديد ، وواصلت المسير حتى بلغت القسطنطينية حيث أمر الإمبراطور البيزنطي " ألكسيس " بإبعادهم ، ونقلهم إلى البر الآسيوي للبوسفور .. إلى أن لاقاهم الأتراك بالقرب من مدينة " نيقية " فى معركة انتهت بهزيمة الصليبيين . وانتهت الحملة التى كان شعارها : "هكذا إرادة الله " .

وكانت كارثة الحملة الصليبية درسا لم ينسه الغرب ولا الكنيسة ، حينما شرعا فى تنظيم حملتهما التالية ، فأطلقوا عليها ــ كما هو معروف تاريخيا ــ " الحملة الصليبية الأولى " وذلك تبرءا من سابقتها .

(أورشليم) بعد ظهر يوم ***الجمعة ١٥ يوليو عام ١٠٩٩*** ، فى مشهد تاريخي رهيب **يقول عنه المؤرخ " جيبون " :**

" إن خدام رب المسيحيين رأوا باعتقادهم الأعمى أن يكرموا الرب ، **فقاموا بذبح ٧٠ (سبعين) ألفا من المسلمين** .. تعظيما وإجلالا وزلفى وقربانا له .. ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء .. وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام ، وأن من احتفظوا بهم من الأسرى دون أن يقتلوه ، **إنما يرجع بقاؤهم على قيد الحياة إلى التعب والإجهاد الذي أصاب الصليبيين** من كثرة ما قاموا به من القتل والذبح " .

ويعجب **المؤرخ لودفج** .. فيقول :

" كيف ساغ لزعماء الكنيسة والأشراف من الصليبيين بعد هذه المذبحة أن يوفوا نذرهم ، ويكشفوا رؤوسهم ، ويخلعوا نعالهم ، ليسيروا فى بحار من الدماء ، ليصعدوا إلى المرتفعات التى نصب عليها الصليب ، ويلصقوا شفاههم بقبر المسيح ، بين مختلف التراتيل والتسابيح والأناشيد والمزامير ..!!! لقد كان منظرا بشعا لا يمكن أن يتصوره أحد . **فهؤلاء أراقوا دماء سبعين ألف مسلم ، وهم الآن يلتمسون الغفران وتطهير أجسادهم وأرواحهم** ، ويأملون فى العفو عن خطاياهم ، بل ويستمدون البركة من الكنيسة " [٢٧].

وينبغي أن أشير ــ هنا ــ إلى أن المؤلفين والمفكرين الغربيين يجمعون على أن الهوية الأوربية ذاتها نشأت من العداء للإسلام ، وأن أوربا كانت بلا هوية ولا تجمعها ثقافة واحدة حتى الحروب الصليبية ، وأن تلك الحروب هى التى جمعت القبائل والشعوب الأوربية ذات الثقافات المختلفة والهويات على قاعدة العداء للإسلام وبدأت الهوية والثقافة الأوربية تتشكلان من خلال هذا الصراع .

---

[٢٧] في المقابل عندما استرد الناصر صلاح الدين " القدس " مرة أخرى (في ٢ أكتوبر ١١٨٧) ، .. نادى البعض بهدم كنيسة القيامة ومعاملة أهل المدينة بمثل ما عاملوا به المسلمين من قبل ، فرفض صلاح الدين هذا الطلب بحزم ، بل ونهر كل من نادى به ، كما أمر باحترام الأماكن المسيحية المقدسة ونادى بالتزام روح التسامح تجاه المسيحيين . ولم يكتف صلاح الدين بهذا ، بل قام برد الأماكن التي سلبت منهم ، كما كافأهم لتعاونهم معه بأن قام بإهداء دير السلطان لهم (وهو مبنى بناه أحد السلاطين السابقين لصلاح الدين ليكون استراحة لعماله) . يوجد تفاصيل أخرى في الفصل السابع من هذا الكتاب .

كما ظهر فكر الضمير الديني والأخلاقي ــ أيضا ــ في الفكر الغربي .. عند تشكيل محاكم التفتيش [٢٨] ، وهو تاريخ الدكتاتورية الدينية والاضطهاد الديني في أبشع صوره ، وقتل حرية الفكر الإنساني بأبشع أداة . ومن أقذر سبل هذه المحاكم إنها حتمت أن يبلغ كل إنسان في غير تباطؤ ما يصل إليه سمعه بشأن الملحدين أو الهراطقة . ***والملحد هو لفظ استخدم أساسا لتعريف كل من يعتنق الإسلام أو من كان مسلما ثم أجبر على التنصر وبدرت منه بادرة توحي بعدم الاقتناع بالمسيحية ، أو مارس الإسلام في الخفاء*** . وهددت الكنيسة من يتوانى في التبليغ بعقوبات صارمة في الدنيا والآخرة ، فانتشر بسببها نظام التجسس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

وبهذا بدأت الإبادة المنظمة للملحدين (المسلمين) وجعلها البابا واجبا دينيا على كل كاثوليكي . وقد تم تنظيم محاكم التفتيش من المفتشين ، وكان أعضاؤها مقصورة على شرائح معينة من رجال الكنيسة كالدومينيكان مثلا . وكان كل شيء مباحا للمفتشين ، فهم الجناة والقضاة في نفس الوقت ، وكانوا يستلهمون سلطتهم من البابا رأسا وهو المعصوم من الخطأ ، لذلك لم يخضعوا للقوانين المدنية أو لأي سلطة كنسية أخرى .

وقد كثر صرعى هذا النظام ، ولم يكن الغرض من التنكيل بالملحدين ــ ***والذين لم يكونوا سوى المسلمين أو من أجبر منهم على التنصر*** ــ هو مجرد إعدامهم والتخلص منهم ، بل كان الهدف هو إثارة الفزع في نفوس الذين يوسوس لهم الشيطان بالمروق أو الانحراف عن الديانة المسيحية . ولم يكن الإعدام يجرى على وجه السرعة ، بل جرت العادة بأن يحرق الملحدون (المسلمون) أحياء ، وبأن تكون النار بطيئة بحيث لا تأتي على ضحيتها مرة واحدة ..!!! وكانوا **يبررون إطالة العذاب على هذا النحو ، لأنه يبيح للمتهم فسحة من الوقت ، لكي يستطيع فيها أن يعلن توبته** ..!! وهذا الإحراق بالنار كانت تسبقه مراحل من التعذيب بالكي بالنار ونحوه ، حيث يختبر فيها صلابة الفرد وعمق إيمانه وقوة إرادته ، لانتقاء أنسب أسلوب لحرقه . ومن الغريب أن هذا الأسلوب في اختيار قدرة المتهمين قبل حرقهم ، قد حدده أمر بابوي أصدره إنوسنت الرابع ، وأعاد توكيده كليمان الرابع في أمر بابوي آخر [٢٩] . وترى

---

[٢٨] يعتبر الميلاد الحقيقي لمحاكم التفتيش جاء فور اعتلاء البابا جريجوري التاسع عرش البابوية في عام ١٢٢٧ ، وذلك حين أصدر كتابا بأن يحرق جميع المشعوذين والملحدين أو من يحذو حذوهم . والمشعوذ أو الملحد ليس له تعريف محدد في الفكر الكنسي . حتى قيل : " أن المسيح نفسه كان سيعتبر مشعوذا لو كان حيا في عصر محاكم التفتيش " .

[٢٩] " قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٤ وما بعدها . وانظر كذلك " مقارنة الأديان ــ ٢. المسيحية " د. أحمد شلبي ، ص ٦٧ وما بعدها .

قمة الاختلال النفسي والعقلي فى ذلك الوقت لأعضاء محاكم التفتيش ، عندما يعلن القاضي الإكليركي أن السجين ملحد (مسلم أو مسلم الجذور) ، ولا أمل فى توبته . ثم يسلمه للسلطات الدنيوية .. **ويلتمس عندها التزام الرحمة والرفق فى معاقبته .. وهو يعلم أن السلطة الدنيوية لا تملك إلا إعدام المتهم بالهرطقة فى مدة لا تتجاوز ستة أيام** ، وإلا أتهمت هى ــ نفسها ــ بالعمل على ترويج الإلحاد ..!!!

وهكذا غرقت أوربا فى بحر من دماء المسلمين أو المسلمين الذين أجبروا على التنصر [٣٠] على يد محاكم التفتيش . أما الأعداد التى أعدمت فأكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نسوق هنا بعض الأرقام للدلالة على بشاعة هذا الاضطهاد الديني الدامي ، معتمدين فى هذا على " **لورنتى** : Lorente " .. سكرتير التفتيش فى أسبانيا (الأندلس) والمؤرخ فى نفس الوقت لتصفية الإسلام والمسلمين ، والذي أتيح له البحث بمطلق الحرية فى " أرشيفات " محكمة التفتيش فى أسبانيا [٣١] فقط . حيث يقول ــ **لورنتي ــ أن محكمة تفتيش أسبانيا (الأندلس) قدمت وحدها إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس ، من عام ١٧٩٠ إلى ١٧٩٢** ، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفا عقوبات أخرى تلي الإعدام فى صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة ــ الأسبانية ــ فى مكسيمو وليما بأمريكا الجنوبية وقرطاجنه وجزر الهند الغربية وصقلية وسردينيا ، وأوران ومالطة .. وجميعها موجه أساسا إلى استئصال الإسلام وللمسلمين ..!!!

وقد كان من أشهر المفتشين فى أسبانيا هو " توماس الطرقماوى " ، الذى إستمر فى منصبه لمدة خمسة عشر عاما ، وكان له (١١٤,٠٠٠) ضحية تم إحراق (١٠,٢٢٠) منهم . **وعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، اعتصم القساوسة الدومينيكان [٣٢] بديرهم فى مدريد ، وعندما اقتحمه نابليون عنوة أنكر القساوسة الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب . ولكن عند البحث والتنقيب وجدها جنود نابليون تحت الأرض .. ممتدة لمسافات كبيرة تحت**

---

[٣٠] أنظر تذييل رقم ٣ من مقدمة هذا الكتاب .

[٣١] " قصة الاضطهاد الديني فى المسيحية والإسلام " د. توفيق الطويل ، ص ٨٧ وما بعدها . و " تاريخ الكنيسة الأسود " ، القس اللاهوتي بيتر دى روزا ، الترجمة (عن الألمانية) : أسر حطيبة ، الدار المصرية للنشر والإعلام . ص : ١٢٠ - ١٢٢ .

[٣٢] الرهبنة الدومينيكانية ؛ وهى الرهبنة التى أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ ، ويلقب المنخرطون فيها باسم " الأخوة الوعاظ " . وقد بدأت نشاطها أول ما بدأته فى مدينة تولوز بفرنسا ، وهى أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية . وقد تميز الدومينيكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت ، وإلى محاولة للتوفيق بين اللاهوت والفلسفة . ولكن كانت دعوتهم تتميز بالتعصب الديني ، حيث قاموا بدور إيجابي فى تشكيل أعضاء محاكم التفتيش .

الدير .. وكلها مليئة بالمساجين .. وكلهم عرايا وكثير منهم معتوه من آثـــار التعذيـــب [٣٣] . ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برقة الشعور إلا أن هذا المنظر قد أثار شعور جنودها ، فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله . (أنظر كذلك تذييل رقم ٢٨ من الفصل الثامن ــ مـن هذا الكتاب ــ لرؤية تفاصيل أخرى عن الإبادة .. وتجارة الرقيق .. والتي نتـــج عنـــها إبـــادة حوالي ١٠٠ مليون أفريقي ..!!!) .

وهكذا نرى أن الذبح والقتل والتعذيب في أبشع صوره ومعانيـــه يمكـــن أن يتـــم داخـــل الصوامع الدينية .. وأديرة التعبد والرهبنة في مسيحية المحبة .. في صورة هي ــ بـــالقطع ــ صورة تعبدية ..!!! **إذن هي نصوص كتابية .. تسقط العباءة السوداء عن مصاصي الدماء .. الذين يمارسون القتل والذبح وأعمال التعذيب الجنونية والوحشية .. تحت المزاعـــم الدينيـــة** ..!!! وبديهي ؛ بعد هذا العرض الموجز يمكننا الآن ، أن نفهم ولو قليـــلا .. معنـــى تشـــكيل الضمير الديني والأخلاقي في الفكر المسيحي الغربي بصفة عامة ..!!!

٤. البعث والجزاء .. في الفكر الإسلامي

وعلى النقيض من كل ما سبق ذكره في الديانتين اليهودية والمسيحية نجد الإسلام محـــــددا للغاية لمفاهيم " ***البعث والحساب والجزاء*** " بوضوح لا لبس فيه . فالموت والبعـــث والحســـاب والجزاء .. كلها أمور ساطعة المعاني في الدين الإسلامي . الجزاء وأشكاله وصـــوره معـــرف بدقة بالغة .. النعيم وأشكاله وصوره معرف بدقة تتناهى إلى ما وراء العلم البشري المحدود .

فالموت في الفكر الديني المطلق (أي الدين الإسلامي) هو مجرد تغير مناظر بانوراميـــا الوجود فحسب .. فالاتصالية قائمة .. بين هذه الحياة .. وبين حياة فيما وراء الموت . فـــالموت لن يعني لنا أكثر من الحدث الانتقالي في سيناريو الوجود من كون إلى أكوان أخرى موازيـــة ..

---

[٣٣] **من آلات التعذيب التي وجدت .. حجرات صغيرة رأسية وأفقية في حجم جسم الإنسان .. يوضع فيها الملحد (أي المسلم .. أو المسلم المتنصر ظاهريا) ليظل واقفا فيها أو راقدا حتى الموت . كما وجد آلات لسحق عظـام الجسم البشري تبدأ بالأقدام وتنتهي بالرأس .. وصناديق صغيرة بحجم رأس الإنسان توضع فيها رأس الملحـــد (المسلم) بعد أن يتم تقييد يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة .. ثم يتم وضعه تحت خـــزان تقطر منه المياه بانتظام على الرأس حتى يصيبه الجنون . هذا غير توابيت تثبت في داخلـــها ســـكاكين حـــادة يوضع فيها الملحد (المسلم) لتقفل عليه فيتمزق جسده (وهو طقس يـــهودي .. يعـــرف بـــالصندوق الإبـــري لتصفية دم الضحية .. حتى يمكن جمعه .. وتقديمه كقربان مذبح في صور مختلفة) .. كما عثر علـــى كلاليـــب تغرز في أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء وتبتر بالسكاكين .. وسياط من الحديد الشـــائك يضـــرب بها الملحدون (المسلمون) وهم عـــراة حتى يتناثر لحومهم ..!!!**

ولن يزيد معناه عن دخول الإنسان في أبعاد لانهائية تحكمها قوانين فيزيائية مغايرة ، إن جاز لنا استخدام هذه الألفاظ التي توحي بتناظر المعاني ، وعلينا تحقيق هذه القوانين . فالموت هو مجرد حدث تغير المناظر في فاصل التنقل بين فصول المسرحية الواحدة .. مسرحية نحن أبطالها ..!!! فالموت يسدل الستار على أحداث فصل سابق .. ويرفع الستار عن أحداث فصل تالي ..!!! ***ولسنا ــ البشرية ــ متفرجين في مسرحية كونية ننصرف عقب عرضها .. ببلاهة .. لنتمطى .. ونتثاءب ..!!!*** **بل نحن أبطال الرواية ذاتها .. وسيسدل الستار عن مأساة حقيقية مالم نجيد فهم حقيقة أدوارنا** [٣٤] **..!!!**

فإذا أضفنا ما سبق تقديمه في مقدمة **هذا الكتاب حول اعتراف الإسلام بحرية اعتناق الفرد لأي دين** ، ومقدمة هذا الفصل إلى هذا البند ــ تجنبا للتكرار ــ حول تشكيل ضمير الفرد الديني والأخلاقي لدى الفرد المسلم .. فإننا يمكن أن نشير إلى البعث في إيجاز ، إذا علمنا أن هذه الكلمة ومشتقاتها وردت في القرآن المجيد في (٦٨) موقع من آياته .. من هذه المواقع البلاغ التالي الصادر عن الله (ﷻ) للبشرية جمعاء والتي تتشكك .. وتشكك في فكر البعث .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ [٣٥] إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ

---

[٣٤] أنظر : " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " (الفصل الأول : المدخل إلى الأكوان الموازية .. وما معنا يكفي) ، لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

[٣٥] تحسب هذه الآية من الإشارات العلمية في القرآن المجيد ، حيث يقول عنها (وعن الآيات ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون) عالم الأجنة الدكتور " كيث ل. مور : **Kieth L. Moore** " أستاذ ورئيس قسم التشريح بكلية الطب بجامعة تورنتو بكندا : في الوقت الذي أشار فيه القرآن الكريم إلى مراحل تطور الجنين لم يكن أحد في أوربا يعرف شيئا عن هذه المراحل ، واستمر هذا الوضع على هذا الحال حتى القرن العشرين ، حيث لم يصبح وصف مراحل الجنين جزءا من علم الأجنة إلا في هذا القرن .

ثم يضيف كيث مور قائلا : " ونظرا لكون مراحل تطور الجنين البشري معقدة ، وذلك بسبب التغير المستمر الذي يطرأ عليه في كل لحظة ، فإنه يصبح في الإمكان تبني نظام جديد في تصنيف مراحل تطور الجنين باستخدام الاصطلاحات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة . ويتميز هذا النظام الجديد بالبساطة والشمولية . هذا إلى جانب انسجامه التام مع علم الأجنة الحالي أي المعاصر " . ويصدر كيث مور الطبعة الثالثة من كتابه عن الأجنة تحت عنوان :

" تطور الإنسان : حقائق الجنين الطبية : بإضافات إسلامية : **The Developing Human; Clinically Oriented Embryology, With Islamic Additions. Kieth L. Moore** "

مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّـهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥ - ٧)

وهي آيات تبين بوضوح تام فكر البعث بأسلوب علمي مقارن يحسب من الإشارات العلمية المعاصرة للقرآن المجيد ، كما رأينا ذلك من التذييل رقم ٣٥ . وكما سبق وأن ذكرت أن كلمة "**البعث** " ومشتقاتها وردت في القرآن المجيد في (٦٨) موقعا .. وسوف نقتصر على الموقع السابق فقط . أما حول تشكيل الضمير الديني والأخلاقي .. فإن المسلم يستدق معه حساب النفس على ما قدمت يداه من خير أو شر لتصل إلى مثقال الذرة .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الزلزلة {٩٩} : ٧ - ٨)

وهكذا فكر الفرد المسلم .. يعلم يقينا .. بأن .. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .. فأنى له بالقتل ــ إذن ــ والإبادة ..!!! وهناك كتب كثيرة تعالج مشاهد القيامة والحساب والجزاء .. إلى آخره .. من خلال النصوص القرانية ، ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ويمكن للقارئ الرجوع إلى مصادر أخرى للاستزادة .

أما ربط البعث بالحساب والجزاء .. فيتعرض القرآن المجيد لها في أماكن كثيرة على طول القرآن المجيد .. نذكر منها فقط الآية الجامعة التالية ..

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [٣٦] (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم

---

[٣٦] لاحظ أن الآيتين التاليتين : ١٣٤ ، ١٣٥ هما تعريف " للمتقين " . وسبق التعرض لتفسير هذه الآيات الكريمة في الكتاب السابق ... " الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٣٣ - ١٣٨)

[قد خلت : قد مضت / سنن : طرائق الكفار]

كما يجب ذكر أن الضمير الديني والأخلاقي للفرد المسلم مقيد بقيود صارمة من مكارم الأخلاق في كل حركته في الحياة .. حتى في القتال .. فهو مقيد أيضا بمكارم الأخلاق .. بل ومثقل بهذه المعاني . فالقتال في الإسلام لم يؤذن به إلا لرد العدوان فقط ، ولم يؤمر به إلا بشروط صارمة ..

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾

(القران المجيد : الحج {٢٢} : ٣٩)

أي أن مجرد الإذن بالقتال له شروطه الصارمة .. وهو للرد على من يقوم بقتال المسلمين وظلمهم فحسب .. وبأنهم ظلموا بمعرفة من يقاتلوا المسلمين ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ .. ﴾ . أي أن المسلم لا يبدأ بالقتال على الإطلاق .. ولم يؤمر به إلا لرد العدوان والدفاع عن النفس فحسب . ثم ماذا لو توقف الآخرون عن قتال المسلمين .. فهذا هو النص الإلهي ..

﴿ .. فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ٩٠)

أى إذا لم يقاتلوكم ومالوا إلى السلم ﴿ .. فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ أى ليس هناك مبرر لقتالهم أو سلطة عليهم .. تحت أى إسم أو دعوى . أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يبادروهم بالعدوان ، فيقول عنهم المولى ، عز وجل :

﴿ عَسَى اللَّـهُ أن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّـهُ قَدِيرٌ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٧)

بل وأكثر من هذا :

﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الممتحنة {٦٠} : ٨)

[**تبروهم** : تصلوهم بالمودة / **تقسطوا إليهم** : تعدلوا معهم / **المقسطين** : العادلين]

فالنهى (أى القطيعة) لا يحق للمسلمين فقط إلا فى حالة قتالهم ، أو إخراجهم من ديارهم . فهذا هو القتال وبعض من أحكامه في الديانة الإسلامية .. (ولمزيد من التفاصيل حول أحكام القتال .. وانتشار الإسلام .. أنظر الملحق الرابع من هذا الكتاب)

وهكذا ننتهي مما سبق ؛ بأن الفارق .. بين الضمير الديني والأخلاقي في الفكر الإسلامي .. وبين الضمير الديني والأخلاقي في الفكر اليهودي أو الفكر المسيحي الغربي .. هو فارق أضخم من أن يحسب .. فهو أكبر من الفارق .. بين الحضارة والمدنية .. وعصور ما قبل التاريخ .. أو هو أكبر من الفارق .. بين الإنسانية .. والوحشية ..!!!